جزيرة السوبر مان

محمود سالم

جزيرة السوبر مان

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جزيرة السوبر مان

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٨٣٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
اختطافُ الرياضيِّين!	١١
المهمة ... الوقوع في الأَسْر!	١٥
فريق ... من الشياطين!	٢١
رائحة الموت!	٢٥
أجيالٌ ... من السوبر مانات!	٢٩
الشياطين ... فوق طاولة التجارب!	٣٥
خطَّة الشياطين!	٣٩
الهروب من السجن!	٤٣
نهاية «كارلوس»!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

اختطافُ الرياضيِّين!

كانت صالةُ جمانيزيوم الشياطين، في كهفهم السِّري، عامرةً بالنشاط والحركة، وقد انقسم الشياطينُ إلى مجموعات، كلٌّ منها تمارسُ لعبةً رياضيةً معيَّنة ... وكانت أشدهم حماسًا هي «إلهام»، التي راحت تتدرَّبُ على لُعبة كرة السرعة الحديثة، وقد راحت تَلطِمُ الكرةَ الصغيرةَ بمِضربٍ في يدها يمينًا ويسارًا في سرعةٍ بالغة، وبمهارةٍ شديدة.

واقترب منها «أحمد» باسمًا، وقد التمعَت حباتُ العرقِ فوق جبهته من أداء تمارين السويديِّ الرياضيةِ التي تُحافِظ على رشاقته ولياقته العالية، وقال لـ «إلهام»: يبدو أنَّكِ ستُصبحينَ بطلةً في هذه اللُّعبة!

توقَّفَت «إلهام» عن اللَّعب، وقالت: إنَّها لعبةٌ رائعة، لا يمَلُّ منها الإنسانُ أبدًا، وسوف أُحطِّم أرقامَها القياسيةَ قريبًا.

أحمد: لن يُدهشَني هذا ... فإنَّ أبطالَ هذه اللعبةِ على مستوى العالم كله من المصريين، وأيضًا مخترع اللعبةِ نفسه ... وقد قرأتُ أنَّ هناك فريقًا عربيًّا من أبطال هذه اللعبة، سوف يسافر إلى أمريكا لأداء بعض المباريات هناك، وللمساعدة في نشر هذه اللعبة الحديثة.

قالت «إلهام» ضاحكةً: أتمنى لو أنني انضمَمتُ مع هذا الفريق، بشرط أن يسمح لي رقم «صفر» بذلك!

أحمد: أحيانًا يُخيَّل لي أنَّ رقم «صفر» قد نسِيَنا ... لأنَّه يتركنا عدةَ أسابيعَ دون أن يستدعيَنا من أجل مهمَّة!

فجأة، لمعَت لمبةٌ حمراءُ كبيرة في مدخل صالة الجمانيزيوم، فقالت «إلهام» بلهجةٍ تملؤها الدهشة: ها قد تذكَّرَنا رقم «صفر» ... يبدو أن الاستدعاء عاجلٌ هذه المرَّة.

اقتَرب «عثمان» وهو يُجفِّف عَرقَه المُنسال، قائلًا: ليس أمامَنا غيرُ عشرِ دقائقَ لأخذ حمَّامٍ بارد.

واتَّجه الشياطينُ خارجين من الصالة، وأخذ كلٌّ منهم دشًّا باردًا، استعاد به صفاء ذهنه ... ثم استقَرُّوا جميعًا في مقاعدهم بقاعة الاجتماعات.

وما كاد الباب ينغلقُ عليهم ... حتى ساد الظلامُ القاعة، وبدأَت آلة العرض السينمائية في العمل ... كان المشهد السينمائي يُمثِّل لقطةً من دوري كرة السلة الأمريكية، أشهر لُعبةٍ رياضية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ظَهرَت مجموعةٌ من أفراد فريق «هارلم» لكرة السلة، وهم يتلاعبون بمنافسيهم في مهارةٍ بالغةٍ انتهت بفوزهم بعددٍ كبيرٍ من النقاط، ورفَع أفرادُ الفريق أيديَهم لتحية الجماهير الغفيرة المُحتشِدة في صالة اللعب.

وهمس «عثمان» لـ «أحمد»، ووجهه يتألَّق سرورًا: لقد أسعدني الحظ، فشاهدتُ بعض مباريات هذا الفريق الرائع عندما قام بأداء بعض المباريات الاستعراضية في مصر و... وفجأةً توقَّف «عثمان» عن تكملةِ عبارته، عندما شاهَد عنوان جريدة «النيوزويك» الأمريكية، وقد كُتب عليها بالخط العريض: «اختفاء مجموعة من أمهر لاعبي «هارلم» ... الشرطة الأمريكية تُواصِل تحرياتها.»

ترامَقَ الشياطين في صمتٍ ودهشة ... وتَوالَى ظهور العناوين على الشاشة، لعددٍ من الجرائد والمجلات الأمريكية والعالمية ... وكلها تتحدَّث عن هذا الاختفاء العجيب، وما تبذلُه الشرطة الأمريكية من جهودٍ بلا فائدة.

وجاء صوت رقم «صفر» يقطعُ الصمتَ العميق، قائلًا: لقد تم الاختطاف منذ ما يزيد على شهرَين ... وحتى الآن، لا أثَر لهؤلاء الأفراد المختطَفين من أبطال فريق كرة السلة العالمي «هارلم»، والذي كان يؤدي مباراةً استعراضية في مدينة «نيويورك» الأمريكية على ساحل الأطلنطي ... ثم اختفى بعدها دون أي أثَر ... وحتى الآن.

قالت «إلهام» في دهشة: هذا أمرٌ عجيب!

أحمد: لعلها دعايةٌ غريبة يقوم بها هذا الفريق ... ثم يظهر المُختطِفون بعد وقت!

رقم «صفر»: لا ... إنَّ الأحداث التالية تؤكِّد أنَّ حادث الاختطاف حقيقي!

واختفى فريق «هارلم» من فوق الشاشة، وظَهرَت على الشاشة مباراة ملاكمةٍ مثيرة، وقد احتشد آلاف المشاهدين حول الحلَبة ... وقال رقم «صفر»: هذه المباراة كانت لتأهيل مَن يفوز بها للمنافسة على بطولة العالم في الوزن الثقيل ... وقد اختفى الفائزُ بها ... أو اختُطِف بمعنًى أدقَّ بعد فوزه بهذه المباراة، التي أُقيمَت بمدينة «ميامي» الأمريكية.

خالد: هذا شيءٌ مذهل.

قيس: كأنَّ هناك جهةً معينةً تختطفُ أبطالَ الرياضة!

تساءلَت «ريما»: والشرطة الأمريكية ... هل فشلَت في الوصول إلى المُختطفين؟

رقم «صفر»: حتى الآن ... لا!

أحمد: وهل حدثَت عمليات اختفاء أو اختطافٍ أخرى؟

لم يردَّ رقم «صفر» على الفور، بل ظَهرَت على الشاشة مسابقةٌ للتزحلُق على الجليد، وقد راح المتنافسون يبذلون قصارى جهدهم في تقديم الألعاب الخطيرة، مستعرضين مهارتهم ولياقتهم، وظهر الفائز بالبطولة الدولية، وهو يتسلَّم كأس البطولة الذهبية ... وبعدها اختفت صورة البطل من الشاشة، وظهر مكانها عنوانٌ عريض لجريدةٍ كندية رياضية عليها صورة البطل، وفوقها عنوان: «اختفاء بطل كندا في التزحلُق على الجليد في ظروف غامضة».

وكانت التفاصيل تقول إنَّ البطل، بعد أدائه لمباراة هامَّةٍ بالقرب من خليج «بافن» الكندي، اختفى من فندقه، دون ترك أي أثَرٍ وراءه.

تبادَل الشياطين نظرة دهشة، وقالت «زبيدة» متجهمة: يبدو أنَّ أحداثًا خطيرةً قد جرت في العالم دون أن ندري عنها شيئًا ونحن في الكهفِ السري!

جاء رقم «صفر» يقول: لقد تعمَّدتُ ألا أنقل لكم هذه الأخبار، انتظارًا للحظة المناسبة؛ ولذلك منعتُ دخول الجرائد والمجلات التي تحمل هذه الأنباء إليكم!

وسادت لحظة صمتٍ قصيرة. وتساءلَت «إلهام»: وهل توقَّفَت حوادث اختفاء أو اختطاف الرياضيين؟

رقم «صفر»: لا ... لقد وقعَت عدةُ حوادثَ أخرى؛ فقد اختفى بطل العالم في جري المسافات الطويلة، وهو من ساحل العاج، وكان عائدًا إلى بلاده، بعد سباقٍ عالمي للجري، فاز فيه، وما إن استقر في منزله بـ «أبيدجان» عاصمة ساحل العاج، على ساحل المحيط ... حتى اختفى، دون تَركِ أي أثَر وراءه!

قال «أحمد» بفتور: لقد انتقلَت الحوادث من القارة الأمريكية إلى القارة الأفريقية.

رقم «صفر»: وهناك حادثٌ آخر، وقع هذه المرة في أستراليا ... على شواطئ مدينة «سيدني» الجميلة؛ فبَعدَ سباق عالمي للسيارات، قطع خلاله المتسابقون آلاف الكيلومترات عَبْر القارة الأسترالية، وكانت نقطة النهاية في مدينة «سيدني» ... وبعد فوز بطل أستراليا بالسباق وتسلُّمه الجائزة ... اختفى في نفس الليلة ... وقبل سفره إلى «أوروبا».

إلهام: إنَّ هذا يُثبِت أنَّ حوادث الاختطاف عالمية ... لا تقتصر على قارَّة أو جنسيةٍ واحدة.

رقم «صفر»: هذا صحيح ... فمن المؤكَّد أنَّ تلك الجهةَ التي قامت بهذه العمليات الغريبة من اختطاف الأبطال، تضع أبطال العالم الرياضيين كلهم تحت عيونها، دون الاقتصار على جنسيةٍ معيَّنة ... أو قارَّة بالذات!

أحمد: وبالنسبة لوطننا العربي، هل وقعت أيَّة حوادثَ مماثلة؟

ساد صمتٌ عميق، بعد سؤال «أحمد». وبدا في عيون الشياطين الترقُّب الشديد، انتظارًا للإجابة. ولم ينطق رقم «صفر» بالإجابة على الفور، كأنَّه يريد أن ينقل للشياطين إحساسًا معينًا ... ومرةً أخرى، عادت الشاشة السينمائية تعرض لقطاتٍ رياضية، وكانت لمباريات كرة القدم، أشهر لعبةٍ رياضية في العالم، وقد ظهر على الشاشة عددٌ من أمهر نجوم كرة القدم على امتداد الوطن العربي، وهم يُحرِزون أهدافًا رائعة ... وبعضهم وهو يحمل كأس البطولة، فوق يدَيه.

وجاء صوت رقم «صفر» ليقطع الصمت، قائلًا: لا شك أنَّكم تعرفون أغلب نجوم كرة القدم في كل أرجاء وطننا العربي؛ فلدينا بعض اللاعبين من أصحاب المهارة العالية جدًّا، لو أُتيحَت لهم فرص الاحتراف والاحتكاك بالفرق الأجنبية العالمية لكان لهم شأنٌ آخر ... ولصارت الكرة العربية لها ثقلُها في ميزان كرة القدم العالمية ... ولذلك فكَّر عددٌ من الاتحادات العربية لكرة القدم في اختيار منتخبٍ عربي لكرة القدم، يشتمل على أمهر اللاعبين في كل المراكز، وبالفعل فقد تم تكوين هذا المنتخب، والذي كان مقرَّرًا له أن يقوم بجولة في عواصم الكرة العالمية، في أوروبا وأمريكا الجنوبية، وكان يُنتظَر لهذا الفريق أن يحقِّق نتائجَ طيبة، ولكن لسوء حظ هذا الفريق، فإنَّه لم يلعب مباراةً واحدة! إلهام: هل تعرَّض الفريق للاختطاف أيضًا؟

رقم «صفر»: هذا هو ما حدَث بالضبط ... فقد كان مقررًا أن تقوم رحلةُ الفريق من مدينة «طنجة» المغربية المُطِلة على جبل طارق، وكان من المفترض عبور الفريق المحيط الأطلنطي بالطائرة إلى قارة أمريكا الجنوبية، لأداء بعض المباريات مع فريق البرازيل والأرجنتين، ولكن الفريق كله اختفى، عندما ذهب اللاعبون إلى الشاطئ لقضاء بعض الوقت للتسلية والسباحة ... ولكنَّهم اختفَوا جميعًا، ولم يعُد منهم أحدٌ حتى هذه اللحظة!

المهمة ... الوقوع في الأَسْر!

ساد الوجومُ لحظات، بعد حديث رقم «صفر» ... ثم توالت تعليقات الشياطين.

ريما: هذا مذهل!

بو عمير: فريق بأكمله يختفي ... شيءٌ لا يُصدَّق!

فهد: من المؤكَّد أنَّ لهؤلاء الخطَّافين قدرةً هائلة، لكي يقوموا بعملٍ بمثل هذه المهارة ... وعلى امتداد العالم كله!

زبيدة: من المؤكَّد أنَّ من يقوم بذلك العملِ الإجراميِّ منظمةٌ إرهابية عالمية، على قَدْرٍ كبير من التنظيم والمهارة والتمويل!

وتساءل «عثمان»: ولكن، لماذا ... ما الهدف من كل عمليات الاختطاف هذه ... إنَّ أيَّ منظمة إرهابية أو جهةٍ عالميةٍ، لن تقوم بعملية الاختطاف ... وتُنفِق عليها الملايين دون هدف، فهل طالب المختطفون بفدية لإطلاق سراح هؤلاء الرياضيين؟

رقم «صفر»: لا ... إنَّهم لم يطالبوا بأيَّة فدية، ولا أعتقد أنَّ هذا هو هدفهم من عملية الاختطاف. وساد صمتٌ قصير، بعد كلمات رقم «صفر» ... الذي واصل قائلًا: لا شك أنَّ عمليات الاختفاء أو الاختطاف المتكررة لهؤلاء الرياضيين قد لفتَت انتباه أجهزة الشرطة والمخابرات في العالم كله؛ ومن ثمَّ فقد هبَّت جهاتٌ عديدة لكشف أسرار هذا العمل الغريب، ومن جانبنا، كان لا بد أن نشارك في عملية البحث هذه ... خاصة وأننا قد تدخَّلنا لكيلا يتم كشف عملية اختطاف فريق منتخب كرة القدم العربي، حتى لا نتسبب في حدوث حالة ذُعرٍ لكل الرياضيين ... ولكننا بالطبع كنَّا نعمل وبطريقةٍ محمومة، ومن أجل كشف أسرار هذا الاختطاف، والهدف منه.

إلهام: وهل توصَّلتُم إلى أسرار هذه العملية؟

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ تمامًا، لقد اكتشفنا من هو المسئول عن هذا العمل الإجرامي، وكذلك الغرض من عمليات الاختطاف للرياضيين بالذات!

وانطبعَت صورةٌ لرجلٍ أوروبي الملامح، في حوالي الخمسين من عمره، بوجهٍ أحمرَ محتقن، وشعرٍ ناري اللون، وعينَين واسعتَين، لهما نظرةٌ نفَّاذة قوية جدًّا، برغم النظارة الطبية فوقهما!

وقال رقم «صفر»: هذا الرجل هو عالمٌ ألماني شرقي، يُدعى «كارلوس هانز»، وقد كان حتى عامَين ماضيَين، يعمل في إحدى الجهات العلمية التابعة لدولة ألمانيا الشرقية، وكان يُشرِف على عمليات وتجاربَ غاية في السرية!

أحمد: وهذه العمليات تتعلق بمجالات القدرات الرياضية المتميزة وغير العادية، أليس كذلك؟

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا يا «أحمد» ... أنتم تعرفون أنَّه في وقت من الأوقات، كانت الكتلةُ الشرقيةُ بأكملها لا تستطيع منافسة الغرب، سواء في الصناعة أو التقدُّم التكنولوجي؛ ومن ثَم فقد سعت هذه الدول إلى التقدم والتميز في مجالٍ آخر، وهو مجال الرياضة، وتقديم أبطال لا يمكن منافستهم، سواء في الجمباز، أو ألعاب القوى، أو غيرهما من الألعاب، خاصة الألعاب الفردية، وهو ما حدث بالفعل، وتفوَّقَت دول الكتلة الشرقية على كل أبطال العالم، في هذه الرياضات. وكانت مهمة هذا العالم الألماني الشرقي «كارلوس» هي القيام بعمليات اختباراتٍ وتجاربَ كيميائيةٍ وفحوصٍ بيولوجيةٍ وفسيولوجية على هؤلاء الأبطال لمعرفة لماذا تميَّزوا في هذه الألعاب إلى درجةٍ مذهلة دون غيرهم، حتى إذا ما توصَّلَت السلطات والمسئولون إلى الأسباب الخاصة بهذا التميُّز، أمكن تعميمُها ونَشرُها على كل الرياضيين، ليُصبِحوا أبطالًا أيضًا.

بو عمير: إنَّها فكرةٌ مذهلة!

رقم «صفر»: ولكنَّها كانت فكرةً فاشلة تمامًا ... فقد فشلَت كل التجارب التي قام بها هذا الرجل، ربما بسبب أنَّ المتفوقين رياضيًّا، لديهم استعدادٌ جسدي ونفسي خاص، لا يملكه الآخرون، هذا بخلاف الموهبة الإلهية، وهو ما لا يمكن تقليدُه أو تعميمُه بأي شكل، ولكن «كارلوس» لم يقتنع بهذا الفشل ... ورفض الاستجابة إلى أوامر الحكومة بإيقاف هذه التجارِب ... خاصة وأنَّه بدأ يتجه بها اتجاهًا خاصًّا وخطيرًا!

وصمَت رقم «صفر» لحظة، وقد بدا على الشياطين الترقُّب والإثارة الشديدة، وأكمل رقم «صفر»، قائلًا، وهو يقلِّب بعضَ الأوراق أمامه: «لقد بدأ هذا الرجل الاتجاه إلى البحث

عن أسباب التفوُّق الرياضي، ليس داخل أجساد هؤلاء الرياضيين، بل داخل عقولهم ... وكانت النتيجة مؤلمةً للغاية ... فقد تسبَّب في موت عددٍ ممن شملَتهم التجارب ... وإصابة البعض الآخر بحالاتٍ من التدمير لخلايا المخ ... أو الغيبوبة الدائمة.

إلهام: يا له من متوحش!

زبيدة: إنَّه مجنونٌ، بكل تأكيد.

رقم «صفر»: هذا هو ما تأكَّدَت منه السلطات في «ألمانيا الشرقية»، فأمرت بإغلاق معمل التجارب، وإحالة «كارلوس» إلى المحاكمة، بتهمة تجاوُز الأوامر والتسبُّب في موت وتدمير العديد من الرياضيين، ولكن ذلك العالِم المجنون تمكَّن من الهرب في اللحظة الأخيرة، قبل أن يتم إلقاء القبض عليه. وقد عاد إلى الظهور مرةً أخرى ... ولكن لم يشاهده أحدٌ حتى الآن ... إلا أنَّ الحوادث الأخيرة تدلُّ على أنَّه هو مُرتكِبُها.

قال «أحمد» في دهشة: ولكن هذه الحوادث تدلُّ على أنَّ من يقوم بها يمتلك تمويلًا ضخمًا ... لتنفيذ عملية الاختطاف أولًا، ثم القيام بتجارب على هؤلاء الرياضيين الأبطال، وهو ما يستلزم أجهزةً طبية وعلمية غالية جدًّا.

رقم «صفر»: إنَّ «كارلوس هانز» ليس بحاجة إلى المال ... فإنَّ لديه كنزًا من الذهب، لا يقل عن عشرات الملايين؛ فقد ثبت من البحث والتقصِّي في تاريخ هذا الرجل، أنَّ والده كان ضابطًا بالجيش الألماني، في الحرب العالمية الثانية، وقد تمكَّن من الاستيلاء على خزانة بعض البنوك الفرنسية، عندما احتلَّتها ألمانيا، وقام هذا الضابط بنقل ما وجدَه في خزائنها من ذهب إلى مكانٍ سري، وبعد أن تُوفِّي احتفظ ابنه بالسِّر، وعندما احتاج إلى الذهب استَخرجَه وباعه لتَنفيذ مشروعه!

قالت «إلهام» في دهشة: إنَّها قصةٌ أشبه بالأفلام الأمريكية المثيرة!

رقم «صفر»: إنَّ العالم حافلٌ بما هو أعجب من الخيال، لشدة إثارته!

عثمان: إنَّ مهمتنا القادمة هي القبض على هذا الرجل المجنون، وإنقاذ الرياضيين من قبضته وتجاربه قبل أن يقتلهم!

رقم «صفر»: هذا ما نرجوه ... أن تتمكَّنوا من القبض عليه بأقصى سرعة؛ فإنَّ هذه التجارب عادةً ما تأخذ بعض الوقت، وأرجو أن تصِلوا إلى هذا الرجل المجنون، قبل أن يقوم بإيذاء من اختطفهم من الرياضيِّين، خاصةً منتخبَنا العربيَّ لكرة القدم.

تساءلت «ريما»: ولكن من أين سنبدأ البحث عن هذا العالِم المجنون؟ هل اهتديتُم إلى مكانه؟

أحمد: إنَّ نقطة البداية لا بد أن تكون مكانًا ما في قلب المحيط الأطلنطي، جزيرة نائية في قلب المحيط، إنَّ هذا أصلح مكانٍ يقيم فيه هذا المجنون ليقوم بتجاربه دون أن يعرف مكانَه أيُّ إنسان!

بدَت الدَّهشة على وجوه الشياطين، وتساءلَت «إلهام»: ولماذا توقَّعتَ هذا المكان بالذات ليختفي فيه «كارلوس»؟ إنَّ العالم مليء بالأماكن النائية المتطرفة التي تصلُح لأن تكون مقرًّا لتجارب هذا الرجل المجنون!

مسَح رقم «صفر» نظَّارته بمنديله الحريري، من مكانه المُظلِم، ولَمَعَت على وجهه ابتسامةٌ هادئة وهو يقول لـ «أحمد»: إذن فقد تنبَّهتَ إلى الملحوظة الهامة التي فاتت على الآخرين!

أحمد: إنَّ استنتاجي يعتمد على المنطق تمامًا ... فالمُلاحَظ أنَّ حالات الاختطاف كلها قد وقعَت على شواطئ تُطِل على المحيط الأطلنطي ... فاختطاف فريق «هارلم» كان في مدينة «نيويورك» على شواطئ المحيط الأطلنطي، وكذلك بطل الملاكمة الأمريكي في «ميامي» ... ومدينة «أبيدجان» التي اختُطِف منها بطل الجري في ساحل العاج، هي أيضًا تُطِل على نفس المحيط، وبطل التزحلُق على الجليد الكندي، اختطف من خليج «بافن» في كندا، المُطِل على نفس المحيط، وحتى فريق كرة القدم العربي، اختُطِف من مدينة «طنجة» المُطِلة على المحيط أيضًا ... والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة، كان في اختطاف بطل سباق السيارات الأسترالي، وإن كانت مدينة «سيدني» تقع على المحيط أيضًا، وهو ما يجعلنا نُخمِّن أنَّ المركز الذي تنطلقُ منه فرق الاختطاف التابعة لهذا الرجل المجنون، لا بد وأن تكون في موقعٍ وسط بين هذه الأماكن المُطِلة على المحيط الأطلنطي، وهو ما يعني أنَّ هذا المركز لا بد وأن يكون إحدى جُزر هذا المحيط!

رقم «صفر»: تحليلٌ رائع يا «أحمد» ... هذه هي الملحوظة التي جعلَتنا نَستنتِج مكان هذا الرجل المجنون، وإن كنَّا لم نُحدِّد مكان الجزيرة بالضبط؛ فالمحيط الأطلنطي مساحتُه هائلة، ويحتوي على آلاف الجزر النائية، التي يمكن أن تصلُح أيٌّ منها لتكون مركزًا أو مقرًّا لهذا العالِم المجنون ... ولا شك أنَّه قد قام بتجهيزها بالأجهزة العلمية ومصادر الطاقة والغذاء ... وأنَّ هناك مَن يقوم على حراستها بأسلحةٍ متقدمة، وأيضًا فلا شك أنَّ هذا العالِم المجنون قد قام بتجنيد عددٍ كبير من الإرهابيين ليعملوا تحت إمرته، للقيام بعمليات الاختطاف، وأنَّه يستخدم في ذلك مجموعةً من الزوارق والسفن السريعة الحديثة، التي يمكنها أن تقطع المحيط في وقتٍ قصير!

إلهام: وهل توصَّلَت أجهزة مخابرات الدول الكبرى إلى نفس الاستنتاج؟

رقم «صفر»: «هذا صحيح تمامًا ... ففي هذه القضية بالذات، تحالفَت أكثرُ من دولةٍ لكشفِ أسرار هذه العملية ... وكانت هناك اقتراحاتٌ كثيرة بأن تقوم أجهزة المخابرات العالمية بالتنسيق معًا، بمسح المحيط لاكتشافِ مكانِ هذه الجزيرة والقبضِ على العالِم المجنون ورجاله من الإرهابيين، لولا أنَّ هذه الاقتراحات تم استبعادها، خوفًا من أن تكون نتيجتها انتقام «كارلوس» من الرياضيين الأَسْرى لديه بقتلهم عندما يشعُر بالهجوم على الجزيرة؛ ولهذا وقع الاختيار عليكم لتنفيذ المهمة.

أحمد: إذن، فمهمَّتُنا القادمة هي البحث عن جزيرة «كارلوس»، ثم التسلُّل إليها، وإنقاذ الرياضيين، والقبض على «كارلوس» ورجاله؟

رقم «صفر»: لا ... لن تكون هذه هي مهمَّتكم!

وصمت رقم «صفر» لحظةً قصيرة، ثم أضاف في صوتٍ عميق: إنَّ مهمَّتَكم هي الوقوع في أَسْر رجال «كارلوس» الإرهابيين!

فريق ... من الشياطين!

علَت الدهشة وجوه الشياطين، وهتَف «عثمان» في استنكار: نقع في الأسر، كيف تكون هذه مهمَّتنا؟

أجاب رقم «صفر» في هدوء: ستكون هذه هي مهمَّتكم باعتباركم فريقًا مصريًّا من أبطال لعبةٍ رياضيةٍ خاصة.

أحمد: إذن فستكون مهمَّتنا التظاهُر بأننا فريقٌ رياضي ... وسنسعى لأن يقوم هؤلاء المجرمون باختطافنا ونقلنا إلى جزيرة «كارلوس» لإجراء تجاربَ علينا.

رقم «صفر»: بالضبط ... وبهذا تدخلون الجزيرة دون أن يدري أحدٌ شيئًا عن حقيقتكم، ودون أن تتهدَّد حياة الرياضيين المُختطَفين داخل الجزيرة، وستكون مهمَّتكم هي إنقاذ هؤلاء الرياضيين والقبض على «كارلوس» وعصابته ... وتدمير الجزيرة، حتى لا يستخدمها أحدٌ في أعمال الشرِّ بعد ذلك.

لَمَعَت عينا «أحمد»، وقال: سنكون فريقًا رياضيًّا ... ولكن أبطاله كلهم من الشياطين!

ابتسَم الجميع، وتساءلَت «إلهام»: وما هي اللعبة التي سنكون أبطالها؟

رقم «صفر»: كرة السرعة!

نطقَها رقم «صفر» في هدوء ... واكتسى وجهُ «إلهام» بابتسامة؛ فقد كانت تتوقَّع ذلك. وهمس «أحمد» إليها: لقد تحقق ما تمنَّيتِه أن تكوني بطلةً لكرة السرعة.

إلهام: «إنني لن أُحطِّم الأرقام القياسية لهذه اللعبة فقط ... بل سأُحطِّم رأس كلِّ من سأقابله فوق تلك الجزيرة!

رقم «صفر»: سوف يتكون فريق كرة السرعة من ستة أفراد ... «أحمد» و«عثمان» و«خالد» و«قيس» و«إلهام» و«هدى». ومن المُفترَض أنَّكم ستُسافِرون إلى الولايات المتحدة

الأمريكية عن طريق البحر، بباخرةٍ عابرةٍ للمحيط، من مدينة «الدار البيضاء» إلى «نيويورك»، وبذلك ستكونون هدفًا سهلًا للإرهابيين؛ لأنَّكم ستكونون قريبين جدًّا من مكانهم، وكأنَّنا بذلك نضع أمامهم طُعمًا لاصطيادكم.

أحمد: ولكن، أليس من الممكن أنَّ هؤلاء الإرهابيين وزعيمهم المجنون، لن ينتبهوا إلى سفر فريق أبطال كرة السرعة من المغرب إلى أمريكا؟

رقم «صفر»: لقد كان هذا واردًا في ذهننا منذ وقت؛ ولذلك قمنا بحملةٍ دعائيةٍ كبيرة في الصحف والجرائد العربية، بل والعالمية أيضًا، عن سفر هذا الفريق المصري من أبطال كرة السرعة إلى أمريكا ... ولو راجعتُم جرائد الأيام القليلة الماضية، ستجدون أخبارًا منشورةً عن سفر هذا الفريق، وكلها تبدو بريئةَ المَظْهر.

هتفَت «إلهام» في دهشة: يا إلهي ... إذن فلَم تكن تلك الأخبار المنشورة عن سفر فريق كرة السرعة إلا أخبارًا عنَّا نحن ... وأنا التي تمنَّيتُ الانضمام إلى هذا الفريق!

رقم «صفر»: وها قد تحقَّقَت أمنيتُكِ بصورة لا يتوقَّعها أحد ... والآن هل هناك أيَّةُ أسئلة؟

هزَّ الشياطين رءوسهم بالنفي ... وجاء صوت رقم «صفر»، يقول: وفقكم الله.

ثم سَمِعوا خطواته وهو يغادر القاعة.

وهكذا بدأَت المهمَّة.

كانت الرحلة إلى «الدار البيضاء» قصيرة ومريحة ... بفضل طائرة الشياطين الخاصة، التي حملَت الشياطين الستة من القاعدة السِّرية، إلى مطارٍ صغير بمدينة «الدار البيضاء».

ووصَل الشياطين المدينة في الصباح الباكر ... وبدَت الدار البيضاء في ذلك الوقت، مثل عروس ... تستيقظ من نومها ... وقد ارتدَت فستان زفافها الأبيض الناصع.

كان كلُّ شيء بالمدينة أبيضَ اللون ... يشعُّ بالبهجة والهدوء ... وقد تناثَرَت المنازل الصغيرة بحدائقها المورَّدة في كل اتجاه، والتلال والروابي الصغيرة، القليلة الارتفاع، تُحيط بالمدينة من الخلف، كأنَّها أذرُع ماردٍ عملاق، يحميها من أي اعتداء. ومن الأمام، وبامتداد البصر، ظهر المحيط الأطلنطي، كمساحةٍ لا نهائية من الماء الأزرق الصافي، والهواء الندِيِّ يهبُّ منه على المدينة، كأنَّه يدٌ حانية، تمسح فوق وجهِها لتُوقِظها برفق.

وقفَت «إلهام» تتأمل المشهد الخلَّاب أمامها من إحدى شُرفات الفندق المتعدِّدة المُطِلة على المحيط، واقترب منها «أحمد» بوجهٍ مشرق، متسائلًا: هل أعجبكِ المشهد؟

إلهام: إنَّه أكثر من رائع ... ففي كل مرة أزور فيها «الدار البيضاء» أشعر كأنني أُولد من جديد، بين أحضان هذه المدينة الجميلة.

أحمد: يبدو أنَّ الدار البيضاء ستشهد مولدَ شاعرةٍ جديدة!

ابتسمَت «إلهام» قائلة: لقد كنتُ أكتب الشِّعر فيما مضى ... فأنا لستُ شاعرةً مبتدئة على أي حال.

أحمد: ولماذا توقَّفتِ عن كتابته؟

إلهام: وهل تظنُّ أن عملنا يترك لنا بقيةً من وقت أو مشاعر ... لكتابة الأشعار؟

أحمد: معكِ حَق، إنَّ طبيعية حياتنا العنيفة الخشِنة تجعلُنا ننسى حتى أجمل هوايتنا المُحبَّبة إلينا.

صمتَت «إلهام» ولم ترُدَّ ... وبدا عليها التفكير العميق، ثم التفتَت إلى «أحمد» متسائلة: هل تعتقد أنَّ «كارلوس» سيَعمِد إلى اختطافنا؟

أحمد: هذا ما أرجوه ... وإلا فستفشل مهمَّتنا؛ فهي تعتمد على ذلك، ولن يكون هناك بديلٌ أمامنا غير البحث عن جزيرة هذا المجنون وسط المحيط بين آلاف الجزر ... وهو أمرٌ قد يستغرق سنواتٍ ومزيدًا من الضحايا الرياضيين المساكين ممن سيختطفهم هذا المجنون.

إلهام: وهل تعتقد أنَّ «كارلوس» سيُحاوِل اختطافَنا من شواطئ المدينة كما هي عادتُه؟ أم أنَّه سينتظر ركوبَنا الباخرة ليختطفَنا منها؟

أحمد: أعتقد أنَّ رجاله سيُحاوِلون اختطافنا من «الدار البيضاء» قبل ركوبنا الباخرة؛ لأنَّ ذلك أسهلُ كثيرًا لهم ... بل هذا أمرٌ مؤكدٌ في رأيي.

إلهام: إذن فعلينا أن نُسهِّل لهم ذلك الاختطاف، بذهابنا إلى الشاطئ، كأنَّنا نقوم بنزهة؛ لأنَّ وجودنا في الفندق قد يمنع رجال «كارلوس» من اختطافنا بسبب وجود آخرين حولنا.

أحمد: معكِ حَق. سأُخبِر بقية الشياطين ليستعدُّوا للذَّهاب إلى الشاطئ، وسنختار بقعةً مُتطرِّفة هناك للسباحة والتظاهُر بتمضية الوقت.

أومأَت «إلهام» برأسها مُوافِقة، وبعد دقائق، كان الشياطين يتَّجهون خارجين من الفندق ... وساروا باتجاه الشاطئ.

همسَت «إلهام» إلى «أحمد»: إنني أشعر أننا مُراقَبون.

أحمد: هذا حسَن ... إنَّ معناه أنَّ رجال «كارلوس» قريبون منا، وسيُحاوِلون اختطافنا في أقربِ وقت.

وعلى الشاطئ بامتداد البصر، ظهر الميناء الصغير، المُطِل على المحيط، يرسو فيه عددٌ من السفن الصغيرة وقوارب الصيد ... وفي اتجاه الغرب، ظهر الشاطئ الرملي الساحر، وقد رقَد فوقه المصطافون من كل أنحاء العالم.

وقطع الشياطين الشاطئ إلى نهايته، واختاروا بقعةً متطرفةً على الشاطئ، بها بعض الصخور الحادَّة، ونصبوا شماسيهم ومقاعدَهم الخشبية فوقها ... ثم انطلق «أحمد» و«عثمان» و«خالد» و«قيس» للسباحة، وعيونهم تتفحَّص المكان حولهم في حذَر ... على حين وقفَت «إلهام» و«هدى» على الشاطئ تتظاهران بالقراءة ... وبين الحين والآخر، تُطِل كلٌّ منهما حولها في حذَر، فلا تلمحان شيئًا.

وانتصف النهار. وتناوَلَ الشياطين غداءهم ... وبدأَت الشمس تتجه للغروب ... وأوشَك الليلُ على السقوط ... وتبادَل الشياطين نظرةً حائرة. وتساءلَت «إلهام» في دهشة: هذا هو الوقت المناسب لأن يقوم رجال «كارلوس» باختطافنا؛ فلا أحد حولنا، والليلُ أوشَك على السقوط، فلماذا لا يفعلون ذلك؟

قيس: ربما ينتظرون لحظةً أفضل.

إلهام: ليست هناك أفضل من هذه اللحظة ... ولا أظن أنَّهم سيُحاوِلون اختطافنا من الباخرة؛ ففي ذلك خطورةٌ شديدة عليهم ... إلا إذا ...

عثمان: إلا ماذا يا «إلهام»؟

إلهام: إلا إذا لم تكن هناك نيةٌ لاختطافنا!

ساد الوجوم بعد كلمات «إلهام» ... وبدا كأنَّ هذه هي الحقيقة، ونظر «أحمد» في ساعته، وقال: تبقَّت ساعة ونصف على مغادرة باخرتنا للميناء، ولن نستطيع الانتظار هنا أكثر من ذلك، علينا بالعودة إلى الفندق، ثم الاتجاه إلى الميناء.

تساءلَت «هدى» في قلَق: وإذا لم يحدُث شيءٌ لنا، ووصَلنا سالمين إلى أمريكا باعتبارنا فريقًا من أبطال كرة السرعة، فماذا سنفعل هناك؟

لم يردَّ أحدٌ من الشياطين، واتَّجهوا بوجوهٍ مُقطَّبة إلى الفندق ... وتلفَّتَت «إلهام» حولها في قلَق وحذَر ... ولم يكن أحدٌ وراءها ... ولكنَّ إحساسها بأنَّ هناك مَن يراقبهم، كان قد تعاظَم إلى حدٍّ كبير!

رائحة الموت!

أطلقَت باخرة الركاب الكبيرة نجمة المحيط صَفَّارتَها الأخيرة، كأنَّها تُودِّع الميناء، ثم انطلقَت صوب المحيط العريض ... وقد راحت أضواء ومعالم «الدار البيضاء» تخفُت وتتضاءل، حتى تلاشت تمامًا. ولم يعُد يُحيط بالباخرة من كل جانبٍ غير المياه السوداء، والنجوم البعيدة الشاحبة الإضاءة بأعلى. ترامَق الشياطين في صمت، وهم واقفون أمام حاجز الباخرة الكبيرة ... وقد أوى الركَّاب إلى قمراتهم، وساد سكونٌ على سطح الباخرة.

وقال «قيس»: أظن أننا سنُضطَر للعودة في أول باخرةٍ عائدةٍ من «نيويورك»، حالما نلمس الشاطئ هناك.

هدى: لا تكن متشائمًا؛ فمن يدري ما قد يحدث؟

قال «عثمان» ضاحكًا: إنَّها المرة الأولى التي نرجو فيها أن يتم اختطافُنا ... ومن المؤسف أنَّ من نريده أن يختطفنا، لا يريد أن يُحقِّق لنا هذا الغرض!

ابتسَم بقية الشياطين لعبارة «عثمان». وقال «خالد»: إنَّ الأمل لم يتبدَّد بعدُ؛ فلعل هؤلاء المختطِفين يخرجون علينا من قلب المحيط بزوارقهم السريعة، أو يأتون بطائرات هليوكبتر، ويقومون باختطافنا من قلب السفينة.

اعترض «أحمد»، قائلًا: يبدو هذا أسلوبًا غبيًّا ... فهؤلاء المختطفون — حسبما أخبرنا رقم «صفر» — لا يلجَئُون للقوة أو كشفِ أنفسِهم بمثل تلك الصورة.

إلهام: هناك احتمالٌ بأنَّ هؤلاء المُختطِفين ... قد اكتشفوا خدعتَنا ... ألم يفكِّر أحدكم في ذلك؟

تساءلَت «هدى»: ماذا تقصدين يا «إلهام»؟

أجابت «إلهام»: لقد وضع رقم «صفر» الطُّعم في الصنارة أمام السمكة لتلتهِمَها ... ولكن ألم يفكِّر أحدكم في احتمال بأنَّ السمكة تعرف أنَّ الطُّعم يحوي خلفه مخاطرةً قاتلة؛ بمعنى أنَّ هؤلاء المُختطِفين قد أدركوا حقيقتنا بوسيلةٍ ما؛ لذلك تجنَّبوا اختطافَنا.

أحمد: هذا احتمالٌ بعيد؛ فكيف سيهتدون إلى هذه الحقيقة؟

إلهام: «ربما من خلال متابعتهم لأبطال كرة السرعة في مصر، ومعرفة أننا لسنا من هؤلاء الأبطال.

أحمد: لا أظُن ذلك؛ فإنَّ أبطال كرة السرعة في مصر غير معروفين على الإطلاق، ووسائل الإعلام لا تهتَم بهم.

عثمان: دعونا لا نسبق الحوادث ... ولنَنتظِر ونَرَ.

خالد: إذن، فليس أمامنا غير الذهاب إلى قمراتنا ... والنوم.

تثاءب «قيس» قائلًا: أعتقد أنَّ هذا أفضل ما نفعلُه.

أومأ الباقون برءوسهم موافقين ... ثم اتجهوا هابطين إلى قمراتهم ... ومن خلف أحد أركان الباخرة، أطلَّ وجهٌ متجهم بلحيةٍ صغيرة، ورأسٍ أصلع تمامًا، وقد دسَّ يده في جيبه، وتقلَّصَت أصابعه على مسدسٍ سريع الطلقات ... على حين ارتسمَت في عينَيه نظرةٌ باردة ... مخيفة.

في الصباح التالي، سارت الأمور سيرًا طبيعيًّا ... وكان ضمن أمتعة الشياطين أدواتُ كرة السرعة، وسرعان ما نصبوها في مساحةٍ خالية بسطح السفينة، واندفَعوا يتدرَّبون عليها في مهارة، خاصة «إلهام»، التي أبدت براعة وسرعةً مذهلة في اللعبة ... حتى إنَّها لم تنتبه إلا وبقية الشياطين قد توقَّفوا عن اللَّعِب وراحوا يراقبونها في إعجاب ... ثم تعالى التصفيقُ من جمهور المشاهدين، فتوقَّفَت «إلهام» عن اللَّعِب، وقد ظهر عليها الخجل.

وقالت «إلهام» بإعجابٍ للمشهد الجميل الذي أمامها: كأنَّ الشمس قد أنهكَها التَّجْوال والحرارة الشديدة فرأت أن تأخذ حمَّامًا باردًا في قلب المحيط.

قال «أحمد» باسمًا: منذ الآن سأكون قريبًا منكِ يا «إلهام»، لأستمع إلى هذه التشبيهات الجميلة، لأُدوِّنَها في كراستي، ثم أنشرَها في كتابٍ باسمِك.

ومن الخلف، غَمغَم صاحبُ اللحية الصغيرة في صوتٍ خافتٍ ساخر: إنَّك لن تعيش طويلًا لتنشُر هذا الكتاب ... ولا حتى سطرًا واحدًا منه.

وراقَب ذو اللحية الصغيرة الشياطين وهم يتَّجهون إلى قاعة الطعام ... ثم أعطى إشارةً صغيرة من يده ... وعلى الفور، تحرَّك أربعة رجالٍ آخرين، كانوا واقفين فوق سطح الباخرة، على مسافة قريبة.

تحرَّك الرجال الأربعة، وقد أدركوا ... أنَّ وقت العمل قد حان!

منتصف الليل ...

شَعَرت «إلهام» بشيءٍ من التوتُّر، لا تدري له سببًا ... وتقلَّبَت فوق فِراشها، داخل القمرة المُظلِمة، وألقت نظرةً إلى الفِراش المجاور لها، فشاهدَت «هدى»، وهي مستغرقة في نومها ... فأغمضَت «إلهام» عينَيها محاولةً النوم.

وفجأة، شَعرَت كأنَّ هناك من يُحاوِل فتح الباب، بدَس مفتاحٍ فيه، فتنبَّهَت حواسُّ «إلهام» بشدة ... فقد كان سمعُها حادًّا ... وتساءلَت: تُرى من الذي يحاول دخول القمرة عَنْوة؟

وقفزَت من فِراشها، وقبل أن تتمكَّن من إيقاظ «هدى»، كان الباب قد انفتَح، وظهر في مدخله شابٌّ نحيل، بوجهٍ ذي عظامٍ بارزة، وفي يده مسدس، صوَّبه نحو الفِراشَين، وبدَت عليه الدهشة، عندما وجد فِراش «إلهام» خاليًا، فتلفَّت حوله، وقبل أن يستدير، هوت «إلهام» فوق رأسه بحقيبةِ ملابسَ كبيرة، فترنَّح لحظة، وطارت قدَم «إلهام» لتُطيحَ بمسدسه، ثم أمسكَت به من ياقته، صائحةً في سخرية: لن تجد هنا ما تسرقه أيها الغبيُّ ... غير بضعِ ضرباتٍ ستحصُل عليها مُضطرًّا.

وقبل أن تهمَّ بضرب الشاب، جاءها صوتٌ من الخلف يقول: «إذا حاولتِ إظهار بطولتِك ... فسأُضطَر أيضًا لإظهار مهارتي ... في إطلاق الرصاص.

تلفَّتَت «إلهام» بدهشة، فشاهدَت ذا اللحية الصغيرة، ممسكًا بمسدسٍ كاتمٍ للصوت، يُصوِّبه نحوها، وعيناه مملوءتان بالشر والوعيد.

واستيقظَت «هدى» فجأة، وقد ملأَتها الدهشة، فما إن شاهدَت المسدس المصوَّب نحوها، حتى هتفَت: ماذا تريدان منَّا؟

أجابها ذو اللحية: لا شيء، غير أن تمكُثا هادئتَين ... وتُطيعا أوامري.

وألقى بحبلٍ إلى زميله قائلًا: قيِّد أيديَهما.

فأمسك الشاب النحيل بالحبل، وهو يوجِّه نظراتٍ حادة إلى «إلهام»، ثم اتجه إليها، وقام بتقييدها، وبعدها قام بتقييد «هدى»، وتكميم فم كلٍّ منهما.

ودقَّ قلب «إلهام» بعنف، وهي تتساءل: تُرى هل هذان المجرمان تابعان لرجال «كارلوس»، ولماذا تأخَّرا كل هذا الوقت ... وكيف سيقومان باختطافهما من الباخرة المملوءة بالركاب؟

ثم تساءلَت في قلقٍ أشد: ما هو مصير بقية الشياطين؟

شَعَر «أحمد» بالخطوات المُتلصِّصة التي تقتربُ من فِراشه. وكان قد قام قبل نومه هو و«عثمان» بعمل حيلة في قمرتهما؛ فقد قام بربط خيطٍ رفيع من أُكْرة الباب إلى إصبع

قدمه، بحيث عند أيَّة حركة للباب، أو محاولة فتحه، تجذب إصبعَ قدمه، فيستيقظ فورًا ... وتظاهَر «أحمد» بالنوم ... وشاهَد رجلَين يدخُلان القمرة، محاذرَين، شاهرَين مسدساتهما، وتظهَر على وجهَيهما معالم الجريمة والاحتراف.

ودفع أحدهم بالمسدس نحو جبهة «أحمد» قائلًا: أنت أيها الغبي، انهض حالًا، وإلا سأكون مُضطرًّا لإيقاظك برصاصة في رأسك!

تَظاهَر «أحمد» بالدهشة، وهو يفتح عينَيه، ثم تظاهر بالخوف من المسدس، وهتف: ماذا يحدث هنا؟ ليس لدينا شيءٌ لتسرقاه.

قال أحد المجرمين ساخرًا: لقد جئنا لنَسرقَكما بذاتكما.

وأشار إلى زميله، فاندفَع إلى «أحمد» و«عثمان»، يُقيِّدهما، ويُكمِّم فم كلٍّ منهما.

وتم تقييد «خالد» و«قيس» بنفس الطريقة. ولم يقاوم الشياطين بأي شكل، وقد أدركوا أنَّ هؤلاء الرجال تابعون لـ «كارلوس»، وقد جاءوا لاختطافهم أخيرًا.

قاد المُختطِفون الشياطين الستة إلى حُجرةٍ خلفية، في نهاية الباخرة، تُطِل على المحيط، ولا يفصلُها عن سطح الماء غير مترٍ واحد. وفتح ذو اللحية نافذة الحجرة، ولوَّح للشياطين بمسدسه قائلًا: هيَّا، اقفزوا إلى الماء.

ظَهرَت الدهشة على وجوه الشياطين، وتساءلوا في قلق: هل يرغب هؤلاء المجرمون في إغراقهم، بإلقائهم في قلب الماء وهم مقيَّدون؟

ولَمَعَت عينا «عثمان» بغضبٍ هائل. وبلغة العيون، سأل «أحمد»: هل سنظل مستسلمين أم نقاوم؟

وجاءته إجابة «أحمد»: لنفعَلْ ما يأمرُوننا به.

وكان «أحمد» يُدرِك خطورة قراره؛ فإنَّ شخصًا موثَقًا، ملقًى في قلب المحيط، لن يكون له أي أملٍ في النجاة، ما لم يلتقِطه شخصٌ آخر.

وعلى البُعد، بامتداد البصر من النافذة المفتوحة، لم يكن هناك غيرُ سطح الماء الغارق في الظلام. وألصق ذو اللحية مسدَّسه في رأس «عثمان»، وهو يقول: هل ستنفِّذون ما أمرتكم به، أم أُلقيكم بنفسي في قلب المحيط، بعد أن أُفرغَ مسدسي هذا في أجسامكم؟!

تقدَّم «أحمد» إلى النافذة المفتوحة، وألقى نظرةً أخيرة إلى الشياطين، ثم قفز منها إلى سطح الماء.

وتبِعَه بقية الشياطين في صمت.

ومن داخل الحجرة في قلب الباخرة، وقف ذو اللحية وهو يضحك ضحكةً عالية ساخرة.

أجيالٌ ... من السوبر مانات!

أحسَّ الشياطين بالماء البارد حولهم يكاد يشلُّ أطرافهم ... وقد بدأَت الأمواجُ تعلو وتهبط، والرياح القوية تُنذِر بعاصفةٍ قريبة ... على حين أخذَت الباخرة نجمة المحيط تبتعد وتبتعد كأنها سرابُ أملٍ يستحيل التعلُّق به.

وبذَل «أحمد» مجهودًا كبيرًا حتى يتخلَّص من قيوده ونزعَ الكمامةَ من فوق فمه، وعاون بقية الشياطين على التخلُّص من قيودهم.

وفجأة برز من قلب المحيط شيءٌ ضخم، راح سطحه المعدني يشُق قلب الماء أمام عيونهم، حتى استقر فوق صفحة الماء، ولمَعَت عدة لمباتٍ قوية حوله ... وكان هذا الشيء عبارةً عن غوَّاصةٍ كبيرة ... من النوع القديم الذي كان سائدًا في الحرب العالمية الثانية ... كانت غواصةً ألمانية، لا تزال تحمل آثار شعار النازي القديم.

تبادَل الشياطين النظرات المندهشة، ولم يكن لديهم شكٌّ في صاحب تلك الغواصة. وانفتحَت كُوَّة الغوَّاصة، وظهر فيها عددٌ من المسلحين بالمدافع الرشَّاشة، ألقَوا إلى الشياطين بالحبال، فتسلَّق الشياطين سطح الغواصة نحو كُوَّتها، وهم يرتجفون، بسبب البردِ وملابسِهم المبتلَّة.

وقادهم المسلَّحون إلى حُجرةٍ متَّسِعة، فصاح «عثمان» متظاهرًا بالغضب: إننا نريد أن نفهم سِرَّ ما يحدُث هنا ... أولًا ... مجموعة من المجرمين يختطفوننا من حجراتنا ويقيِّدوننا، ثم يُلقوننا داخل الماء ... وبعد ذلك تظهر غوَّاصةٌ مملوءة بالمسلحين، لتَنتشِلَنا من قلب الماء ... ما الذي يحدُث هنا؟

لوَّح أحد الحُراس بمدفعه الرشَّاش في وجوه الشياطين قائلًا: ليس لدينا إجابة عن أسئلتكم، وعندما تَصِلون ستعرفون كل شيء.

تساءل «أحمد»: عندما نصل إلى أين؟

لوَّح الحارس بمدفعه الرشَّاش في غضبٍ قائلًا: «إنني لا أُحب الأسئلة الكثيرة ... لقد ضاقت الجزيرة بمن عليها، وسيكون من الأفضل لو نقَص عددكم قليلًا ... فلا تدفَعوني إلى ذلك، باستعمال سلاحي!

تبادَل الشياطين النظراتِ الصامتة ... وجلسوا في ركن الحجرة صامتين وقد استغرقوا في تفكيرٍ عميق ... كان من الواضح أنَّ رجال «كارلوس» من النوع الذي لا يتورَّع عن القتل. وكانت المفاجأة امتلاكه لغواصةٍ من مخلَّفات الحرب العالمية الثانية، تدل على أنَّه على استعدادٍ لأن يفعل أي شيءٍ من أجل تحقيق أهدافه الجنونية.

وبلُغة الأصابع تحدَّث «أحمد» قائلًا: لا داعي لأن نتبادل أي حديثٍ قد يكشف عن حقيقتنا ... فربما كان هناك من يراقبنا ويُسجِّل حديثنا.

وساد الصمتُ المكان، واستمرَّت الغوَّاصة في إبحارها، إلى جهةٍ مجهولة، وأقبل بعض المسلحين ببعض الطعام تناوَلَه الشياطين في صمت؛ فقد كانوا بحاجة إلى تقوية قُواهم في الساعات القادمة.

كما لم يكن أمامهم ما يفعلونه لقطعِ الوقتِ غير النوم.

واستيقَظوا على صوتٍ خشِن يقول: هيا انهضوا أيها الأغبياء ... هل أعجبَتْكم الإقامة هنا؟

تنبَّه الشياطين واستيقَظوا ... ولوَّح أحد الحُراس بمدفعه قائلًا: لقد وصَلْنا ... هيا لتُغادِروا الغوَّاصة. اتَّجه الشياطين نحو أبواب الغوَّاصة التي استقرَّت فوق سطح الماء، فظَهرَت لهم على مسافةٍ قريبة جزيرةٌ صغيرة تُحيط بشواطئها الأشجار الاستوائية فتُخفِي قلبها عن العيون الفضولية.

وكان هناك زورقٌ كبيرٌ سريع، نقَل الشياطين تحت الحراسة إلى شاطئ الجزيرة ... وفي انتظارهم كان هناك عددٌ آخر من المسلَّحين قادوهم إلى مبنًى صغيرٍ مختفٍ وسط الأشجار ... ودخلوا قاعةً واسعة بها بعض الأثاث القليل، وتلفَّتوا حولهم في دهشة فلم يجدوا أحدًا.

وانفتَح بابٌ في ركن القاعة ... وظهر في مدخله العالم الألماني الهارب «كارلوس هانز»، وكان يبدو عليه الهُزال والنَّحافة بشكلٍ بالغٍ عجيب، واقتَرب «كارلوس» من الشياطين وهو يتفحَّصهم، ثم قال: لعل رحلتكم إلى هنا كانت مريحة، برغم قِدَم الغوَّاصة التي أبحرتُم بها؛ فقد اشتريتُها من الحكومة الألمانية باعتبارها خُردة ... ولم يدُر في خلَدهم أنَّها ستعود للعمل مرةً أخرى.

تقدَّمَت «إلهام» بوجهٍ غاضبٍ قائلة: إننا نريد أن نفهم ما يحدُث لنا هنا، من أنت ومن هؤلاء الذين اختطفونا، ولماذا أتَوا بنا إلى هذه الجزيرة في قلب المحيط؟

كارلوس: ليس لديَّ ما أُخفيه هنا ... إنَّ هذه الجزيرة هي بمثابة معمل اختباراتٍ وأبحاثٍ ضخم ... شيَّدتُه لخدمة البشرية ... وهنا ستجدون كل أنواع الرياضيين الذين يساهمون بكل شيءٍ في سبيل خلق أجيالٍ من البشر ... أجيال رياضية ذات قُدراتٍ خارقة!

ولمَعَت عيناه وهو يضيف: أجيال من السوبر مانات!

أحمد: إننا لا نفهم ما تقوله!

أجاب «كارلوس» في غموض: ستفهمون حالًا ... عندما تبدأ التجارب عليكم ... بعد أن أنتهي من فَحصِكم بدقة ... أجسادكم، ثم عقولكم.

عثمان: «هل جُنِنتَ ... إننا نرفُض أن نخضَع لهذه التجاربِ المجنونة ... سوف نشكوكَ إلى حكومتنا و...

قاطَعه «كارلوس» قائلًا في سخرية: فوق هذه الجزيرة لا سُلطة أخرى غير سُلطتي ولا أحد يصدر الأوامر هنا غيري ... وحكومتك أو الحكومات الأخرى لن يُمكِنها أن تفعل أي شيء لإيقافي ... وإنني أعِدُكم إذا كنتم مطيعين ولم تُحاوِلوا المقاوَمة أو إثارة الشَّغْب مثل البعض ممن أحضَرناهم هنا، فستكون تجاربي عليكم في رفقٍ ودون ألَم ... أما إذا حاولتم المقاومة ... فلن أخسر شيئًا أن أقوم بتجميدكم، ثم أفحصكم على مهلٍ ودون مشاكل.

تبادَل الشياطين نظرة دهشة عميقة؛ فقد كانت كلمات «كارلوس» تؤكِّد أنَّه مجنون بالفعل لا يتورَّع عن فعل شيءٍ في سبيلِ الوصول لأهدافه.

وضاقت عينا «كارلوس» وهو يقول: كما أخبرتُكم فإنني أعمل لصالح البشرية ... من أجل أن يسود العالمَ أجيالٌ من الأقوياء ... ويختفي المرضى والأجساد الضئيلة وأصحاب القُدرات الضعيفة، سوف يكون كل سكان هذا العالَم من الأقوياء وأصحاب الأبدان الصحيحة والقُدرات الرياضية ... ومن أجل هذا الغرض النبيل، قمتُ ببناء هذه القلعة العلمية التي تكلَّفَت الملايين، وعهدتُ إلى نوعيةٍ خاصة من الرجال بالعمل معي، لتنفيذ أوامري دون نقاش، في إحضار من أُريد من الرياضيين، لإكمال تجاربي عليهم.

عثمان: ما الذي ستستفيدُه من ذلك ... ما الفائدة التي ستعود عليك من هذا العمل؟

لمَعَت عينا «كارلوس» ببريقٍ جنوني وقال: سوف أحكُم العالم كله ... فهذه الأجيال الجديدة من «السوبر مانات» سوف تَدين بالولاء لي وتنصِّبني زعيمًا لها.

قالت «إلهام» ساخرة: وهل تظن أنَّ العمر سيمتدُّ بك حتى ترى هذه اللحظة، حتى بفَرض نجاح تجاربك؟!

قَهقَه «كارلوس» ساخرًا وأجاب: سوف أعيش طويلًا ... أطول مما عاش أي إنسان لأنَّه ضمن تجاربي فإنني أبحثُ عن عقار إعادة الشباب ... العقار الذي يجعل الخلايا لا تُهزم أو تموت وتظل شابة وتجعل صاحبها يعيش عمرًا طويلًا جدًّا ... وقد قاربَت تجاربي على الاكتمال؛ فلا أحد يعيش عمرًا طويلًا مثل الأصحَّاء من الرياضيين، ومن أجل هذا كانت تجاربي عليهم لأحُصل أيضًا منهم على الإكسير الرائع ... إكسير الشباب الدائم.

تبادَلَ الشياطين نظرةَ الدهشة، وظهَر الإعياء والضعف على «كارلوس» وهو يقول: «لقد تحدَّثتُ إليكم كثيرًا أكثر مما ينبغي، وفقدتُ كثيرًا من القوة بسبب ذلك.

وأشار إلى رجاله وهو يَسعلُ بشدة، فاندفع إلى المكان ستة حُراسٍ مسلَّحين قادوا الشياطين خارج الحجرة، ثم ساقوهم إلى قلب الجزيرة التي تراصَّت فيها مبانٍ صغيرة، مُخْفاةٌ وسط الأشجار، وظهر إلى اليسار مُولِّدٌ كهربائيٌّ قوي، لم يكن من شَكٍّ في أنَّه مصدر إمداد الجزيرة بالطاقة.

وظهَر إلى اليمين مبنًى مستطيلُ الشكل، كُتبَت عليه يافطة «مبنى التجميد»، فأصاب الشياطينَ الارتعادُ بالرغم منهم.

وواصَل الحُراس مسيرتَهم في قلب الجزيرة، فتساءل «أحمد»: إلى أين تأخذوننا؟

أجاب الحارس: إلى المكان الذي ستقيمون بعض الوقت فيه، قبل أن تبدأ التجارب عليكم.

وقَهقَه الحارس في سخرية ... وانتهى السير إلى مبنًى عريضٍ كان يبدو أشبه بالسجن ... تُغلِقه بوَّابةٌ ضخمة من الحديد ... ويقف على حراسته وأسواره مجموعةٌ من الحُراس المسلَّحين، وانغلق باب المبنى عليهم ... وطالعَهم فِناءٌ كبير قد جلس فيه عددٌ من الشبان يبدو عليهم الذهول والتخدير ... وتركَهم الحُراس ... وابتعدوا إلى الأسوار.

وهتفَت «إلهام» وقد تعرَّفَت على بعضهم: إنَّهم بعضُ أعضاءِ فريق «هارلم»، وكذلك بعض أعضاء منتخبنا العربي لكرة القدم.

عثمان: إنَّهم في حالة تخدير ... حتى لا يُقاوِموا مُختطِفيهم وكذلك التجارب التي ستُجرى عليهم ... وهم لا يدرون ما سوف يحدُث لهم، بسبب هذا التخدير.

صاحت «إلهام» في غضب: هذا العالِم المجنون. إنَّه يُضحِّي بأرواح العشرات دون أن يهتَز له قلب أو ضمير ... إنَّه وحشٌ وليس إنسانًا.

هدى: هل لاحظتم نحافتَه غير العادية؟ إنَّه ولا شك مريضٌ مرضًا شديدًا.

أحمد: هذا هو السبب الذي يدفعه إلى تلك التجارب المجنونة ... إنَّ مرضَه سبَّب له الجنون؛ فهو يريد أن يحصل على جسدٍ رياضيٍّ متناسق بدلًا من جسده الهزيل، وهو يظُن أنَّ تجاربه ستُمكِّنه من ذلك، وأنَّه سيتوصَّل أيضًا إلى إكسير الشباب الذي سيجعله يعيش طويلًا.

غَمغَم «عثمان» في غضب: هذا الرجل لا بد أنَّه سيدفع ثمنًا غاليًا لجنونه.

تساءل «خالد» في قلَق: تُرى ما هو نوع التجارب التي ينوي هذا المجنون إجراءها علينا؟

إلهام: لا أحد يدري.

هتف «عثمان» في حدَّة: وهل سننتظر إلى أن يقوم هذا المتوحش بإجراء تجاربه المجنونة على أجسادنا وعقولنا؟ ... يجب أن نتصرَّف ونفعل شيئًا!

أحمد: إننا بحاجة إلى بعض الوقت لمعرفة المزيد عن تفاصيل المكان وعدَد حُراسه ومصادر قُوَّته، ولا تنسَوا أنَّنا بدون أسلحة ... ويجب علينا الحصول على أسلحة قبل القيام بأيَّة خطوة.

هدى: سيكون من السهلِ الحصولُ على بعض مدافع الحُراس الرشَّاشة.

أحمد: إنَّها لن تكفي لسيطرتنا على الجزيرة ومسلَّحيها ... فهناك عشرات الحراس ... والمهم الآن أن نبدو كما أننا قد استسلمنا لمصيرنا حتى لا يشُك أحدٌ فينا ويُفسِد خطَّتنا.

واقتربَت «إلهام» من أحد الشبان وكان يبدو غائبًا عن الوعي، فكادت عيناها تدمعان وهي تقول: إنَّه «مسعد العربي»، الهداف الخطير في فريق الكويت لكرة القدم، انظروا كيف يبدو شكلُه؟

وفجأةً اندفع ثلاثةُ حُراسٍ مسلَّحين نحو «مسعد»، ودفَعوه في قوة، وصاح أحدُهم فيه: هيَّا، قد حان أوانُ إجراء التجارب عليك.

صرخ «مسعد» في رعب وهلع: لا ... اتركوني ... لا أريد أن أموت ... أيها المتوحِّشون دعوني أعيش.

ولكن الحُراس اندفعوا نحوه في غضب، وانهالُوا عليه ضربًا وركلًا في وحشية، حتى سقط «مسعد» فاقدَ الوعي بين أيديهم.

وارتجفَت «إلهام» في غضبٍ هائلٍ صارخة: أيها المتوحشون الذين لا قلوب لكم.

ثم اندفعَت إلى أقرب الحُراس، وضربَتْه ضربةً قوية فأطاحت به إلى الوراء في عنفٍ شديد وأطاحت ببندقيته بعيدًا.

وقبل أن يتمكَّن بقية الشياطين من أن يفعلوا شيئًا، انطلقَت عشرات الرصاصات نحو «إلهام»، من الحُراس المنتشرين في المكان.

الشياطين ... فوق طاولة التجارب!

قفزَت «إلهام» في الهواء قفزةً بارعة، كما لو كانت كرةً من المطاط، فابتعدَت عن مصدر إطلاق الرصاص، واحتمَت خلف جدارٍ من الطوب بعيدًا عن طلقات الرصاص المُنهمِرة كالمطر.

وصَرخَ أحد الحُراس: اقتلوا هذه الشيطانة، جزاءً لها على ما فعلَته.

فاندفع بعض الحراس شاهرين أسلحتهم وقد كساهم الغضب الشديد. لم يكن الشياطين بحاجة إلى اتفاقٍ للعمل، كان تدخُّلهم في القتال كفيلًا بكشف حقيقتهم.

ولكن حياة «إلهام» كانت أهم ... وفي لحظةٍ واحدة تحرَّك الشياطين بطريقةٍ مدهشة، فقفَزوا في الهواء معًا، كما لو كانوا يقدِّمون عرضًا جماعيًّا رائعًا للأكروبات ... وسقطوا فوق خمسة من الحراس، وطارت قبضات وركلات الشياطين، تُطيح بالحُراس في كل اتجاه.

ولكن الرصاص المنهمر من أعلى الأسوار، جعل بقية الشياطين يتقَهقَرون إلى الخلف للاحتماء بجدار الطوب مع «إلهام».

وقالت «إلهام» في أسَف: لقد وضعتكم في مأزقٍ سيئ، ولكنني لم أستطع تحمُّل منظر هؤلاء المتوحِّشين وهم يضربون ذلك الشاب!

أحمد: لا عليكِ يا «إلهام»، فسنُواجِه قدَرنا على أي حال.

وبدأ الحائط ينهار تحت طلقات الرصاص المنهمرة عليه كالمطر ... وصار الشياطين مكشوفين ومعرَّضين للموت. وفجأةً دوَّى صوتٌ يقول: توقَّفوا عن إطلاق الرصاص.

توقَّف الحُراس عن إطلاق الرصاص، وظَهر «كارلوس» بوجهٍ متجهم وهو يقول: ما الذي يحدُث هنا؟

أجاب أحدُ الحُراس في شك، وهو يشير نحو الشياطين: إنَّ هؤلاء الستة يبدون غير عاديين على الإطلاق؛ فهم يقاتلون بطريقةٍ مذهلة كأنهم أبطالُ قتال وليسوا أبطالًا في كرة السرعة.

تأمَّل «كارلوس» وجوه الشياطين في شَك وقال: يبدو أنَّ ظنوني قد تحقَّقَت ... وأنَّ جهةً ما قد قامت بخدعةٍ لإرسال بعض المقاتلين إلى هنا لاكتشاف أسرار الجزيرة، وربما لإنقاذ من فيها.

ولمعَت عيناه وهو يضيف: ولا شك أنَّهم قد أرسلوا أفضل عناصرهم، فريقًا مُدرَّبًا على أحسن مستوًى وقادرًا على اقتحام الخطَر. وهذه هي النوعية التي كنتُ أحتاجُها بشدة لاكتمال تجاربي.

وقَهقَه «كارلوس» بشدة، فترامَق الشياطين في صمت وقلق، ثم توقَّف العالِم المجنون عن الضحك، وأشار إلى رجاله قائلًا: خُذوهم إلى زنزانةٍ خاصة حتى أبُتَّ في أمرهم.

سدَّد الحراس مدافعهم الرشاشة نحو الشياطين الذين استسلموا إليهم في صمت، وقادُوهم الحُراس إلى زنزانةٍ صغيرة من الصُّلب داخل السجن الكبير، ثم أغلقوا بابها عليهم.

وانفجَرَت «إلهام» باكيةً في حزن، وهي تقول: لقد تسبَّبتُ بتهوُّري في كشفِ حقيقتنا.

احتضَنَت «هدى» «إلهام» في إشفاقٍ قائلة: كانت الحقيقة ستنكشف على أي حال، فلا داعي لأن تلومي نفسك.

وتساءل «خالد» في توتُّر: تُرى كيف يفكِّر ذلك الشيطان المجنون «كارلوس»، وما الذي ينوي أن يفعلَه بنا؟

أحمد: لنَنتظِر ونَرَ!

وفي المساء انفتح باب الزنزانة ... وظهر أربعة من الحراس المسلَّحين أشاروا إلى «إلهام» بالخروج، وقال أحدهم: البروفيسور يرغب في رؤيتك.

تبادلَت «إلهام» مع الشياطين نظرةَ قلَق، وهتَف «أحمد» في وجوه الحُراس: إننا لن نتحرك إلا معًا. ولكن «إلهام» تقدَّمَت في شجاعةٍ قائلة: لا تخشَ شيئًا يا «أحمد»، فإذا كان هناك أي خطر، فأنا أعرف كيف أتعامل معه جيدًا ... خاصةً إذا كان من صنف ذلك النوعِ من المجانين!

وخَرجَت «إلهام» مع الحُراس، الذين أغلقوا باب الزنزانة خلفهم، وتساءل «أحمد» في توتُّرٍ شديد: تُرى ما الذي يريده هذا المجنون من «إلهام»؟

وجاء صوتٌ من مكانٍ ما بالزنزانة يقول في سخرية: ألم تدركوا الهدف بعدُ؟

كان صوتَ «كارلوس»، وكان يأتي من ميكرفونٍ خفي في ركن الزنزانة، وتنبَّه الشياطين، وأكمل «كارلوس» قائلًا: لقد أخبرتُكم أنَّكم النوعية التي كنتُ أحتاجها بالضبط

لإكمال تجاربي ... نوعيةٌ مميَّزة من الشبان الرياضيين، الذين يملكون قدراتٍ عالية من الناحية البدنية والعقلية، وأيضًا تجارب وخبراتٍ مميزة، وهو ما كنتُ أحتاجه بالضبط لإكمال تجاربي.

صاح «عثمان» في غضب: هل تظُننا فئرانَ تجاربَ أيها المجنون؟

هدَر «كارلوس» في غضبٍ أشد قائلًا: سوف أعاقبك بشدة على وصفكَ لي بالمجنون، وذلك عندما يحين دَورُك للرقاد فوق طاولة العمليات.

أحمد: ماذا تقصد؟

قَهقَه «كارلوس» قائلًا: إنَّ زميلكم كان محقًّا فيما قاله، سوف تكونون فئرانَ تَجاربَ كالآخرين تمامًا، وسأبدأ بزميلتكم التي غادرَت الزنزانة منذ لحظات؛ فستكون هي أول من تُجرى عليها التجاربُ من فريقكم.

ظهَر الذهول على وجوه الشياطين، وارتعد «أحمد» في غضبٍ قائلًا: أيها المتوحشُ، أقسم أن أنتقم منك لو لمستَ شعرةً واحدةً من «إلهام» بأذًى!

قال «كارلوس» ساخرًا: وكيف ستنتقم مني، وأنت أيضًا والآخرون، ستلحقون بها قريبًا ... بل قريبًا جدًّا؟

وتعالى صوت ضحكات «كارلوس» المجنون، ثم تلاشى الصوت وساد سكونٌ عميق ... تبادَل الشياطين النظراتِ المتوتِّرة، وأشار «أحمد» إلى الباقين أن يتحدَّثوا بلغة الأصابع حتى لا تنقل الميكروفوناتُ السرية حديثهم إلى العالِم المجنون.

تساءلَت «هدى»: ما العمل الآن؟ يجب أن نتدخل لإنقاذ «إلهام» فورًا.

عثمان: ولكن كيف؟! سيستحيل علينا مغادرة هذه الزنزانة لإنقاذ «إلهام»!

ضاقت عينا «أحمد» وهو يفكِّر بشدة، ثم أشار بأصابعه قائلًا: إنَّ لديَّ خطةً لإنقاذ «إلهام»، ولكنها تتطلب أولًا خروجنا من هذه الزنزانة اللعينة بأقصى سرعة.

تساءل «خالد»: وما هي هذه الخطَّة؟

أجاب «أحمد» بشرح تفاصيل الخطَّة، وقالت أصابع «قيس» في حركاتٍ مبتهجة: إنَّها خطةٌ ذكيةٌ جدًّا ... وستُوفِّر لنا مجهودًا كبيرًا، ولكن المهم وكما قلتَ أنت، فعلينا أن نغادر هذه الزنزانة فورًا، وقبل بدء التجارب على «إلهام» ... فكيف سنُحقِّق ذلك؟

لمَعَت عينا الشيطان الأسمر «عثمان»، وقالت أصابعُه: إنَّ لديَّ خطةً لذلك!

خطَّة الشياطين!

قاد الحُراس «إلهام» إلى مبنًى قريب، بدا في الظلام من الخارج كأنه وكرٌ للشياطين، ودخلوا المبنى باتجاه حُجرةٍ واسعةٍ يُوجَد بداخلها عددٌ من الأجهزة الإلكترونية المعقَّدة، والشاشات التليفزيونية، وفي منتصفها طاولةٌ عريضة ... وبدا شكل الحجرة مثل حجرات العمليات بالمستشفيات الكبرى، غير أنَّ تلك الحجرة كانت أجهزتها معقَّدةً وغريبة.

وانفتَح بابٌ في ركن الحجرة، وظهر «كارلوس» وهو يقول: مرحبًا يا صغيرتي ... إنني سعيدٌ بمجيئك إلى هنا دون اعتراض.

قطَّبَت «إلهام» حاجبَيها متسائلة: ماذا تريد؟

كارلوس: إنني أريد أن أنفِّذ تلك النظرية التي تقولُ إنَّ قدرات المرأة من الناحية البيولوجية أقل من الرجل ... وأُثبِت أنَّ المرأة يمكن أن تكون مساويةً في قُوَّتها للرجل، بل وتتفوَّق عليه أيضًا ... والدليل أنتِ!

تساءلَت «إلهام» في دهشة: أنا ... ماذا تقصد؟

كارلوس: لقد كنتِ رائعةً في قتالك مع الحُراس ... وأكثر منهم مهارة، ولا شك أنَّ تجاربي عليكِ سوف تؤكِّد تلك المهارة ... وتستكشف أسرارَها داخل خلايا جسدك وعقلك.

تراجعَت «إلهام» إلى الوراء ذاهلة، وقد أدركَت غَرضَ ذلك الشيطان المجنون، وصاحت به: هل تريد إجراء تجاربك الإجرامية عليَّ أيها المجنون؟

أشار «كارلوس» إلى رجاله قائلًا: ضعوها فوق طاولة التجارب، وقيِّدوا يدَيها وقدمَيها.

وفي الحال اندفَع الحُراس نحو «إلهام» ولكنها عاجلَت أولهم بضربةٍ قوية أطاحت به إلى الوراء في عنف، وتحاشت ضربةَ الثاني، ثم وجَّهَت إليه ضربةً قوية وانقضَّت كالنمر على رجلٍ ثالث، وضربَتْه، فترنَّح في ألم، ثم ناولَتْه ضربةً أخرى أطاحت به بعيدًا، ولكن

... من الخلف جاءت ضربةٌ عنيفة فوق رأس «إلهام» من مؤخرة مدفع أحد الحُراس ... وترنَّحَت «إلهام» من شدة الألم، وكادت تفقد وعيها ... فتدافَع الحراس إليها وحملُوها في عنفٍ إلى الطاولة العريضة، ثم قيَّدوا يدَيها وقدمَيها بسيورٍ جلديةٍ قوية، واقترب منها «كارلوس»، وعيناه تشعَّان بريقًا جنونيًّا وقال: كانت معركةً قصيرة ولكنها رائعة؛ فأنتِ تقاتلين مثل الفهد ... وهو ما سيجعلُني أثق في أنَّ تجاربي عليكِ ستأتي بنتائجَ طيبة ... فلا بد أنَّ خلايا جسدكِ ومخكِ تحتوي على أشياءَ مثيرةٍ غير عادية.

وقَهقَه في سرور وهو يُمسِك بعددٍ من المَشارِط في يده ... فأغمضَت «إلهام» عينَيها في ألم، وهي تشعر كأنَّها ضحيةٌ مُساقةٌ إلى الذبح في طقوسٍ وثنيةٍ مجنونة، فهتَف «كارلوس» بها: أليس شيئًا رائعًا أن أقوم بالبحث داخل خلايا مخك وأنت متيقِّظة ومُنتبِهة إلى ما أفعلُه دون أن أُضطَر إلى تخديرك؟

صاحت «هدى» من قلب الزنزانة وهي تنظُر من نافذتها الحديدية ذات القضبان المتشابكة: أيها الحُراس ... يُوجد لدينا هنا شخصٌ يموت.

اندفَع أحد الحُراس نحو باب الزنزانة من الخارج في شَك، فصاحت «هدى» به: يُوجَد هنا شخصٌ يموت!

تساءل الحارس في شك وهو ينظُر من خلف قضبان باب الزنزانة: أين هو؟

اندفعَت ذراع «هدى» من الناحية الأخرى لتمسك برقبته وتضغطها بعنف إلى الداخل وهي تقول في قسوة: إنَّه أنتَ الذي سيموت أيها الغبي، إن لم تفتح باب هذه الزنزانة حالًا!

ظهَر الألم الشديد على وجه الحارس وهو يُحاوِل الإفلات من ذراع «هدى» بلا فائدة ... وتَحشرَج صوتُه وتنفسُّه فصاحت «هدى» به: تبقَّت لك خمس ثوانٍ فقط، وبعدها سأقوم بتحطيمك!

هتَف الحارس بصوتٍ متحشرج: سأفتح لكم الباب.

ومدَّ المفتاح في فتحة باب الزنزانة، وانفتح الباب فدفعَتْه «هدى» بعنف، فاصطدم بالحارس الذي سقَط على الأرض فاقدًا الوعي.

وهتَف «أحمد»: هيا بنا!

والتفَت إلى «عثمان» قائلًا: هل عرفتَ ما ستقوم به أنت و«هدى»؟

أجاب «عثمان»: لا تقلَق.

قيس: ونحن سنُنفِّذ أيضًا ما اتفقنا عليه.

أحمد: إذن ... هيَّا بنا.

والتقط مِدفَع الحارس الرشَّاش وألقاه إلى «هدى» ... واتجهوا خارجين من الممر الضيق أمام الزنزانة في اللحظة التي ظهر فيها أربعةُ حُراسٍ وهم يقتربون، ففاجأهم الشياطين بضرباتٍ سريعةٍ متلاحقة لم تمكِّنهم حتى من الصُّراخ أو طلَب النجدة وحصَل الشياطين على أسلحتهم.

ورفع «عثمان» و«هدى» أيديَهُم بعلامات النصر لـ «أحمد»، ثم انسلُّوا من المبنى وابتلعَهُم الظَّلام ... وتبِعَهما «قيس» و«خالد» فاختفَيا في الظلام أيضًا ... وبقي «أحمد» مكانه، يفكِّر في قلق: أي اتجاهٍ يسلُكُه ليؤدي به إلى حجرة العمليات لمنع ذلك الشيطان المجنون «كاريوس» من القيام بتجاربه المجنونة على «إلهام»؟

اقترب «عثمان» و«هدى» من سور السجن، وتسلَّقاه في خفة، ووجَّها ضربةً قوية إلى الحارس القريب الذي تمدَّد في صمتٍ فوق السور، وقفَز «عثمان» و«هدى» إلى الناحية الأخرى.

وفي صمتٍ وهدوءٍ تسلَّلا نحو صف الأشجار القريب المتشابك، يُخفيهما الظلام عن العيون.

وكانا يعرفان الطريق إلى هدفهما، المولِّد الكهربائي الكبير الذي يمُدُّ الجزيرة كلَّها بالطاقة ... وكانت مهمَّتهما كما شرحها لهما «أحمد» هي إفساد المولِّد وتعطيله. وظهر المولِّد لهما على بُعد فاقتربا منه في حذَر.

وكان هناك حارسان يقفان أمامه ... تكفَّلَت بطةُ «عثمانَ» بإرسال أحدهما إلى عالم الغيبوبة، أما الآخر فسقطَت «هدى» فوقه، وبضربةٍ هائلةٍ أفقدَته وعيه.

ودخل «عثمان» و«هدى» إلى قلب المولِّد الضخم، ووقف «عثمان» حائرًا أمام الأسلاك ... والتوصيلات العديدة، وتساءل في حَيرة: كيف سنتمكَّن من تعطيل هذا المولِّد؟

أجابته «هدى» في تصميم: هناك وسيلةٌ واحدةٌ مؤكَّدة.

وصوَّبَت مدفعها الرشاش نحو المولِّد ثم أطلقَته، وفي الحال تصاعَد شررٌ كبير ورائحةٌ نفَّاذة، ثم اشتعلَت النيران في المكان كأنها الجحيم.

الهروب من السجن!

قفز «أحمد» خارج أسوار السجن، وكمَن في الظلام ... واقترب حارسٌ مسلَّح وهو يصفر بشفتَيه، وفُوجئ بيدٍ تقبض عليه من الخلف، وتضغط عليه بقسوة. فهتف الحارس في صوتٍ متحشرج: ما هذا ... من أنت؟

وأجابَه «أحمد» في قسوة: لا يهم من أكون ... المهم أن تأخذني إلى حجرة العمليات، لذلك البروفيسور المجنون «كارلوس»، وسأُكافئك على ذلك.

هتَف «الحارس» بصوتٍ متحشرج: لا أستطيع ... سيقتلُني لو فعلت ذلك!

شدَّد «أحمد» ضغطه على الحارس قائلًا: وأنا أيضًا سأقتلُك إن لم تفعل.

أجاب الحارس بصوتٍ متحشرج: سآخذك ... ولكن لا تقتلني.

وقاد الحارس «أحمد» إلى مبنى حجرة العمليات، وأشار إليه قائلًا: ها هو.

أجابه «أحمد»: وها هي مكافأتي لكَ على معاونتك، سأتركك تحيا ولكن بطريقتي. ثم قيَّده وربطه وكمَّم فمه؛ فقد كان يخشى إن تركه أن يُسرع الحارس بإخبار زملائه وتنبيههم.

واندفَع «أحمد» إلى داخل المبنى ... ووقف لحظةً في قلق، وهو يسأل نفسه: تُرى أيَّة حجرة هي حجرة العمليات؟

مسح «كارلوس» عرقه المتصبِّب فوق جبهته وهو يشعر بالإجهاد الشديد، الذي عطَّله عن بدء عمليته الجراحية ... و«إلهام» ممدَّة فوق طاولة العمليات، وقد استسلمَت لمصيرها. وتمالَك «كارلوس» قُواه ... وقرَّب مِشرطَه الحادَّ من جبهة «إلهام».

وقبل أن يلمسَها ... فجأةً، انقطع التيار الكهربي، وساد الحجرة ظلامٌ دامس. وهتف «كارلوس» في ذهول: ما هذا ... كيف انقطع التيار الكهربائي؟

تنبَّهَت «إلهام» في دهشةٍ إلى ما حدث، وفكَّرت: تُرى هل تمكَّن الشياطين من تحرير أنفسهم وتخريب المولِّد الكهربائي الضخم؟

وهتَف «كارلوس» في قلقٍ شديد: سأذهب لأرى ما يحدث في الخارج؟

وما كاد يتجه إلى الباب، حتى أصابته ضربةٌ قوية، أطاحت به إلى الوراء، فسقط في صوتٍ قوي على بعض الأجهزة الإلكترونية، وتهشَّمَت نظارته الطبية.

ظهَر «أحمد» بقامته الفارعة، في مدخل الحجرة، وهو يقول: لا داعي أن تخرج أيها الشيطانُ لتعرف ما يجري في الخارج؛ فقد جئتُ بنفسي لأخبرك بما حدث!

غَمغَم «كارلوس» في ذهول، وقد تعرَّف على صوت «أحمد»: أنت ... كيف تمكَّنتَ من الهرب من الزنزانة؟

أجابه «أحمد» ساخرًا: للشياطين طُرقُهم الخاصة في العمل.

واندفَع نحو «إلهام» في فزع، وهتف بها: هل أصابك هذا اللعينُ بمكروه؟

همسَت «إلهام» في ضعف: لقد وصلتَ في اللحظة المناسبة يا «أحمد» ... أين الباقون؟

أجابها «أحمد»، وهو يحُل قيودَها: إنَّهم بالخارج، يقومون بعملهم.

وتلفَّت حوله قائلًا: وأنا سأُكمِل عملي في هذا المكان الرديء. ولكن «كارلوس» كان قد اختفى من الحجرة، برغم ما حدَث له، وبرغم نظَّارته المكسورة، فهتف «أحمد» في غضب: لقد هرب هذا الشيطان، هيَّا بنا.

تساءلَت «إلهام» في قلَق: هل سنتمكَّن من مغادرة هذه الجزيرة؟ إنَّ بها عشرات الحُراس.

أجابها «أحمد»: هذا يتوقَّف على نجاح خطَّتي، خاصة الجزء الثالث منها.

اقترب «قيس» و«خالد» في حذَر من مدخل الممر الطويل المؤدي إلى زنزانات الرياضيين المسجونين، كان هناك ستة حُراسٍ يجلسون للَعِب الورق في نهاية الممر، وأسلحتهم بجوارهم ... وهمس «خالد» يسأل «قيس»: هل تظن أننا سننجح؟

قيس: بإذن الله ... خاصة إذا انضم إلينا الرياضيون بعد أن نُفرِج عنهم!

خالد: ولكنَّهم سيكونون مخدَّرين، ولن يتمكَّنوا من مساعدتنا!

قيس: لا أظن أنَّهم سيكونون مخدَّرين الآن؛ فمن الواضح أنَّ الحراس يقومون بتخديرهم ظهرًا، ويستعيدون وعيهم وقُوَّتَهم قُرب المساء، بدليل أنَّ لاعب الكرة الكويتي «مسعد العربي» قاوم الحُراس الذين أرادوا الذهاب به إلى حجرة العمليات، وهذا معناه أنَّه كان قد أفاق من المخدِّر.

خالد: معك حق ... هيَّا بنا!

وتحرَّك الاثنان في خفَّة نحو الحراس، واندفعا نحوَهُم شاهرَين أسلحتَهما. وصاح «خالد» في الحُراس الستة: احذروا أن يتحرَّك أحدكم.

فُوجئ الحُراس. ولكنَّ أحدَهم تحرَّك نحو سلاحه. فجاوَبه «قيس» بطلقاتٍ من مدفعه، فاستسلَم الباقون في ذعر، فقادهم «خالد» إلى زنزانةٍ قريبة، أغلقَها عليهم من الخارج، بعد أن استولى على مفاتيح الزنزانات منهم ... واندفع الشيطانان إلى زنزانات الرياضيين يفتحان أبوابها ... وصاح «خالد» فيهم: تسلَّحوا بكل ما تجدونه أمام أيديكم، وأسرِعوا معنا لقتال الحُراس.

فتصاعدَت صيحات الرياضيين، واندفَعوا يستولُون على أسلحة الحُراس، وينتزعون القضبان الحديدية، ويحطِّمون المقاعد ليتسلَّحوا بأرجلها ... ثم اندفعوا جميعًا خارجين من السجن.

واستقبلَهم في الخارج مجموعةٌ من الحُراس، وقبل أن يستخدموا أسلحتهم، اندفعَت هِراواتُ وقبضاتُ الرياضيين تتكفَّل بهم.

وظهر «عثمان» و«هدى»، وانضما إلى «قيس» و«خالد» والباقين. وصاح أحد الرياضيين في فزع: هناك نارٌ هائلة تقترب منَّا!

وكانت النارُ المندلعة من المولِّد الكهربائي الضخم، قد انتشَرَت في الجزيرة، وراحت تلتهم كل ما تُصادِفه من أشجار ومبانٍ.

وتدافَع الحُراس صارخين في كل اتجاهٍ صائحين: النجدة ... النيران ... سوف نحترق.

قال «قيس» في قلق: لم يكن ذلك في حسباننا ... ما العمل الآن؟

خالد: فلنُسرِع إلى الشاطئ، لنستوليَ على زوارق الحُراس السريعة، قبل أن يهربوا بها.

واندفعوا إلى الشاطئ ... وما كادوا يصلون إليه، حتى شاهدوا النار وهي تندفعُ نحو الزوارق وتلتهمُها في ضراوة.

وشَعَر الجميع أنَّهم في شَركٍ رهيب، والنار تُحاصِرهم من كل اتجاه.

نهاية «كارلوس»!

اندفع «أحمد» و«إلهام» من الخلف. وتعانقَت «هدى» و«إلهام» في سعادة، وقال «عثمان» في توتُّرٍ شديد: لقد تمكَّنَّا من إنقاذ الرياضيين وتدمير الجزيرة، ولكنَّنا مُعرَّضون للموت فوق هذه الجزيرة. لمعَت عينا «أحمد»، وقال: لا يزال لدينا أمل.

وهتف في صوتٍ حماسي: الغوَّاصة ... هل نسيتموها. إنَّها الوسيلة الوحيدة التي يُمكِنُنا أن نغادر بها الجزيرة في أمان.

قيس: وأين هي؟

أحمد: إنَّها تَبعُد حوالي كيلومترٍ عن شواطئ الجزيرة، فنسبَح إلى مكانها ونُحاوِل الغوص، والاستيلاء عليها قبل أن يهرُبَ بها ذلك الشيطان «كارلوس».

عثمان: هيَّا بنا.

وقفَز الشياطين الستة، والرياضيون خلفهم في الماء، وشَرعوا يسبَحون في قوة، بالاتجاه الذي أشار إليه «أحمد» ... وفي المكان المحدَّد، أشار «أحمد» إلى الجميع قائلًا: فلتَظلُّوا في مكانكم وانتظروني.

عثمان: سآتي معك.

وغاص الاثنان في قلب الماء المُعتِم، وقد حبسا أنفاسهما ... وعلى مسافةٍ قريبة، لمعَت أضواء الغوَّاصة وهي تستعدُّ للهرب. فاندفَع «أحمد» و«عثمان» إليها، وتعلَّقا بفتحة النجاة، وتمكَّنا من فتحها بمشقَّة، ثم قفزا داخل الغوَّاصة بعد أن كادا يختنقان ... ووقفا في الداخل وهما يلهثان. وقد بدأَت الغوَّاصة إبحارها في قلب الماء.

أحمد: علينا بسرعة السيطرة على الغوَّاصة، ومن المؤكَّد أنَّ هناك مزيدًا من الحراس والمسلَّحين في قلبها.

وما كاد يُنهِي عبارتَه، حتى اندفع حارسان، وهما يُطلِقان رشَّاشاتِهما، فقفز «عثمان» و«أحمد» مبتعدَين عن مسار الطلقات، وبقفزةٍ أخرى بارعة، كانا يطيران في الهواء، وأطاحا بالحارسَين، اللذَين اصطدما بالحائط في عنف ... فسقطا بلا حَراك ... واستولى الشيطانان على مِدفعَي المسلَّحَين، واتَّجها إلى قلب الغوَّاصة. وتدافع مزيدٌ من المسلَّحين نحوهما ... ولكن رصاصات «أحمد» و«عثمان» تكفَّلَت بهم، وألقتهم على الأرض مُصابين.

عثمان: فلنُسرِع إلى حُجرة القيادة ... فلا بد أنَّ ذلك الشيطان «كارلوس» بها.

أحمد: هيَّا بنا.

واتَّجه الاثنان إلى حُجرة القيادة، فوجدا بابها المصفَّح مغلقًا من الداخل، فحاولا فتحَه بلا فائدة.

وصاح «عثمان» نحو الباب في غضب: افتح البابَ أيها الشيطان المجنون ... فلا أمل لك في النجاة. ومن داخل الحجرة، جاءهما صوت «كارلوس» يقول في جنون: لقد أفسدتُم كل مخطَّطاتي، ودمَّرتُم جزيرتي، وأفسدتُم تجاربي؛ ولذلك فسوف أنتقم منكم جميعًا، وسأغوص بالغوَّاصة إلى عمقٍ رهيبٍ في المحيط، فيُحطِّمها الضغط ويُهشِّمها، كما لو كانت لُعبةً صغيرة. أمَّا الباقون فسيموتون فوق الجزيرة ... وبذلك أكون قد انتقمتُ منكم جميعًا.

وقَهقَه «كارلوس» في صوتٍ وحشي ... وتبادَل «أحمد» و«عثمان» نظرةً مندهشة؛ فلم يكن هناك شَكٌّ في أنَّ الرجل قد جُنَّ تمامًا.

قال «أحمد» في تصميم: ليست هناك سوى وسيلةٍ واحدة للسيطرة على هذه الغوَّاصة ودخول حُجرة القيادة.

وصوَّب مِدفَعه الرشاش إلى قفل الباب، وانهال بالرصاص على القفل، الذي تحطَّم ... واندفع «أحمد» و«عثمان» إلى داخل الحُجرة، فشاهدا «كارلوس» وهو يترنَّح، بعد أن أصابته بعض الرصاصات التي اخترقَت قفل الباب.

وجحظَت عينا «كارلوس»، وهو يُشير إلى «أحمد» و«عثمان»، وارتعشَت شفتاه، ثم تهاوى على الأرض بلا حَراك.

عثمان: هذا هو مصيرُ كلِّ مجنونٍ يُحاوِل العبثَ بأرواح الأبرياء.

أحمد: «فلنُسرِع بالتقاط الباقين.

وأدار أجهزة الغوَّاصة لترتفع لأعلى. فتدافَع بقية الشياطين والرياضيون لركوب الغوَّاصة في سعادة ... وتأهَّبَت الغوَّاصة للغَوص. وقالت «إلهام» لزملائها: هناك بعض

المسلَّحين الإرهابيين أحياء على شاطئ الجزيرة ... هل سنتركُهم يموتون في ذلك المكان النائي والجزيرة المُحترِقة؟

أجابها «أحمد»: إنَّهم يستحقُّون ذلك، جزاءً لهم على ما فعلوه من أعمالٍ شِرِّيرة ... ولكننا لن نُواجِه الشر بالشر ... سنقوم بإنقاذهم، ثم نقدِّمهم للعدالة.

ابتسمَت «إلهام» قائلة: هذا هو ما كنتُ أتوقَّع سماعَه منك ... فبرغم كل شيء، فإنَّ الشياطين يمتلكون قلوبًا طيبة.

قال «عثمان» ضاحكًا: ليس كل الشياطين ... نحن فقط!

وتعالت ضحكاتُ الجميع ... واقتَرب «أحمد» بالغوَّاصة من شواطئ الجزيرة، التي تحوَّلَت إلى كتلة من اللهَب، فأسرع المسلَّحون الإرهابيون يقفزون داخل الغوَّاصة، وفي داخلها الرياضيون يردُّون لهم ما فعلوه بهم، ويستقبلونهم بصفعاتٍ مؤلمة، ثم يقومون بتقييدهم ... هدرَت محرِّكات الغوَّاصة ... وبدأَت تهبط إلى قلب الماء، في رشاقة ... ثم اندفعَت باتجاه الشاطئ البعيد.

شاطئ مدينة الدار البيضاء الجميلة ... بعد أن انتهى الشياطين من مهمَّتهم، وانتصروا على هذا الرجل المجنون!

هنـــداوي